مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 18

أكتوبر - ديسمبر 2025م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	دلالة النعت على التوكيد في القرآن الكريم، مواضعها وآثارها دراسة نحوية دلالية **د. عمر بن عواد الحربي**	٩
٢)	جموع القلة الخارجة عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي –جمعًا ودراسة **د. محمد بن جزاء بن زقحان الرويس العتيبي**	٥٩
٣)	التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب الشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي –جمعًا ودراسةً **د. نوها جاد المولى علي جاد المولى**	١٣٥
٤)	تعليلات الفراء الصوتيَّة في كتابه كتاب لغات القرآن **د. سلوى راجح محمد العبدلي الشريف**	١٩٩
٥)	أثر المحظورِ اللّغويّ في توليد الألفاظ دراسة دلاليّة تداوليّة **وفاء بنت لافي بن مقبل الرّشيديّ**	٢٤١

م	البحث	الصفحة
٦)	قراءة في مشاريع تجديد الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب أنموذجا **د. غادة محمد ذاكر الزبيدي**	٢٨٥
٧)	بلاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفيَّةِ فِي المُعَلَّقاتِ السَّبْعِ دراسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ **د. عواد بن ملفي بن زايد الشمري**	٣٢٣
٨)	القيم الحجاجية في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي دراسة تطبيقية في باب العلم **د. أمينة بنت سعود بن خيشان القرشي**	٣٧٣
٩)	الإشاريَّات التداوليَّة في مرويَّات أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها بدء الوحي ومبشِّرات النبوَّة (أنموذجًا) **د. فوزيَّة بنت سعد القرني**	٤٢٣
١٠)	تأثير إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. وائل مطر حسن الحربي**	٤٧١

الإشاريَّات التداوليَّة في مرويَّات أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها -بدء الوحي ومبشِّرات النبوَّة (أنموذجًا) (دراسة وصفيَّة تحليليَّة)

Deictic Pragmatics in the Narratives of Mother of the Believers ʿĀʾishah (may Allah be pleased with her): The Beginning of Revelation and the Glad Tidings of Prophethood as a Case Study (A Descriptive and Analytical Study)

د. فوزيَّة بنت سعد القرني

أستاذ الأدب المشارك بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية

البريد الإلكتروني: fs.algrnai@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
05/09/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-009		

ملخَّص البحث

سَلّط هذا البحثُ الضوءَ على حديث أمِّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– حول بدء نزول الوحي وبشارات النبوَّة، من خلال تحليل الظواهر التداوليَّة للملفوظات القوليَّة داخل الخطاب؛ لتحديد أهميَّة الإشاريات؛ مما يعطي الباحث سعةً في مجال البحث؛ وذلك لتنوُّع الإشاريات المتوافرة فيه، خاصةً وأنَّه يتكلَّم عن المقدمات الأُوَل للمرحلة الفاصلة بين الحقِّ والباطل، مرحلة المبشِّرات ونزول الوحي على رسولنا ﷺ ليكون أنموذجًا حيًّا يتضمَّن أثرًا من الآثار المرجعيَّة للعربيَّة في منابعها الأولى، باعتباره كلامًا من كلام صحابة الرسول الأوائل ممَّن تربوا على يديه وشُهِد لهم بالفصاحة القرشيَّة، والفصاحة المستقاة من فصاحته عليه السلام. ومما شجَّعني على البحث فيه تنوّع الإشاريات نوعا ما في سياقاته؛ والتي أعطتنا مادة لغويَّة متنوعة، من دلالة وتركيب، وتلمس للمنهج الوصفيّ التحليلي المتبع في الإحاطة بالإشاريات المتنوِّعة التي احتواها، وكان من ضمن نتائج البحث الإكثار من توظيف بعض الإشاريّات، ولا سيَّما الشخصيَّة منها، والأمر كما يبدو طبيعيًّا في مثل هذه الأحاديث المرويَّة التي يتم بها التواصل المباشر عبر اللغة مع جموع المتلقين للنصِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: (الإشاريّات والأثر التداوليُّ – الإشاريّات في ضوء أحاديث الوحي – العناصر الإشاريَّة ومبشِّرات النبوَّة).

Abstract

This study sheds light on the ḥadīth of Mother of the Believers ʿĀʾishah (may Allah be pleased with her) regarding the beginning of revelation and the glad tidings of prophethood, by analyzing the pragmatic phenomena of utterances within the discourse. It aims to determine the significance of deixis, providing the researcher with broader scope for exploration in this field.

This is due to the variety of deictic expressions it contains—particularly as it discusses the initial stages marking the decisive transition between truth and falsehood: the phase of the glad tidings and the descent of revelation upon our Prophet (peace be upon him). The ḥadīth thus serves as a living model reflecting traces of the earliest linguistic foundations of Arabic, being speech from one of the Prophet's earliest Companions who were nurtured by him and renowned for their Qurayshi eloquence, derived from his own matchless eloquence.

One of the reasons that encouraged me to pursue this research was the relative variety of deictic expressions within its contexts, which provided a diverse linguistic corpus in terms of meaning and structure. This allowed for the application of the descriptive-analytical method to examine the different types of deixis it contained. Among the study's findings was the frequent use of certain deictic forms—particularly personal deixis—which appears natural in such transmitted ḥadīths, where direct communication with the audience occurs through language.

Keywords: Deixis and Pragmatic Effect – Deixis in the Light of the Ḥadīths of Revelation – Deictic Elements and the Glad Tidings of Prophethood.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى تطبيق النظريَّة التداوليَّة بمعاييرها المختلفة على حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – بوصفه واحدًا من أبرز الأحاديث التي يتشوَّق كلّ مسلمٍ لمعرفة ما فيه من مجالات تبليغيَّة، ومبشرات تضمَّنها حول أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ وذلك كواحدٍ من نصوص اللغة العربيَّة، التي من خلاله نستطيع وصف خصائصها وتفاصليها الدقيقة، ورصدها العديد من الألفاظ التي اهتمَّ رواة الحديث بإيضاحها، وتفسير الظواهر الخطابيَّة التواصليَّة، وما اشتمل عليه من استعمال العناصر الإشاريَّة بكلِّ أنواعها، بحيث يتضح لنا أهميَّة هذه العناصر الإشاريَّة في التواصل المباشر بين الناس عبر اللغة، وبالأحرى بين منتج النصِّ عائشة –رضي الله عنها– وجموع متلقي النصِّ من المسلمين في كلّ وقتٍ وحين.

وقد وقع اختياري على دراسة العناصر الإشاريَّة في هذا الحديث؛ لما له من حضور قويٍّ داخل قلب كلّ مسلم، ولما فيه من بيان لقسم من أقسام مجيء الوحي للنبي ﷺ، وهو الرؤيا الصادقة، تلك المرحلة الفاصلة بين الظلام السادر، والفجر الساطع، حين صدح الحق بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ولِمَا اشتمل عليه من مُثلٍ أخلاقيَّة ظهرت واضحةً في كلِّ الشخصيات التي تضمَّنها الحديث، والحري بكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أنْ يتمثلها ويعمل بها، إضافةً إلى ما فيه من عناصر إشاريَّة شكّلت بكلِّ أنواعها ملمحًا أسلوبيًّا ظهر جليًّا فيه، وسهل طريقة إيصاله للمتلقين.

والحقيقة أنَّ التداوليَّة واحدةٌ من الدِّراسَات الألسنيَّة الحديثة التي تهتمّ بالسياق داخل النصّ، والإشاريّات فرعٌ من فروعها المهتمَّة بالمعنى المراد بين المرسِل والمتلقِّي، وهذا بلا شكٍ يجمع كلَّ العناصر اللغويَّة التي تحيل مباشرة على المقام، من حيثُ وجود الذات المتكلمة، أو الزمان، أو المكان، حيثُ يُنجَز الملفوظ والذي يرتبط به

معناه[١]. أيْ: أَنّها دراسةَ اللغة من منظور تداولها بين مستعمليها، فالتّداوليَّة "تتطرَّق إلى دراسة اللّغة كظاهرة خطابيَّة وتواصليَّة واجتماعيَّة معًا"[٢].

تناولت في هذا البحث الإشاريات التداوليَّة في الحديث الذي روته أم المؤمنين الفقيهة والراوية المهتمة بمعرفة تفاصيل حياة الرسول قبل البعثة، وما بعدها، بدءًا من نزول الوحي؛ وذلك لما رأيت أنَّ معظم الدِّراسَات البحثيَّة المهتمة بدراسة الإشاريّات التداوليَّة قد ركّزت في اختيار نماذجها التطبيقيَّة على النصوص الشعريَّة، والقليل منها انصب تركيزه على أساسيات الخطاب الدينيّ في القرآن الكريم، وقد بدأتُ الدِّراسَة بتوضيح مصطلح الإشاريات دلالةً واصطلاحًا، ثم كشفتُ عن الإشاريات الواردة فيه، والتي تراوحت بين الإشاريات (الشخصيَّة، والاجتماعيَّة، والزمانيَّة، والمكانيَّة)، ووضَّحتُ أهميَّة هذه الإشاريات في الكشف عن المعنى النصِّي.

وتتجلَّى أهميَّة هذه الدِّراسَة في تحليل حديث عائشة من وجهة نظر الدِّراسَات الألسنيَّة الحديثة، تلك الدِّراسَات التي تهتمُّ بالمعنى المراد داخل السياق، وما وسعه من تحمُّل دلالات إبلاغيَّة متعدِّدة، سعيت من خلالها الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالإشاريات التداوليَّة؟ وما أبرز أنواع الإشاريات التي ظهرت في الحديث المروي؟
- ما أهمُّ خصائص الإشاريات، كيف أثّرت هذه الإشاريات في دلالات الحديث؟

(١) ينظر: د. محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م)، ص١٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: أرمينكو فرانسواز، "المقاربة التداوليَّة". ترجمة: سعيد علوش، (ط١، الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ١٣.

- كيف يمكن أن نوظّف المناهج التداوليَّة في قراءة النصوص وتحليلها أيًّا كانت؛ لنولّد دلالات تأويليَّة جديدة للنص المرويّ؟

ونظرًا لطبيعة البحث؛ فقد اقتضت الدِّراسَة تقسيمه إلى مبحثين: مبحثٍ نظريٍّ وآخر تطبيقيّ، وخاتمة ذكرت فيها أهمَّ النتائج، وضمَّنتها بعض التوصيات للمهتمِّين من طلاب العلم في مثل هذه الدِّراسَة.

واشتمل الجزء النظريّ على:

١- تمهيدٍ تضمن ذكر نصِّ الحديث.

٢- تعريف مختصر براويته أمِّ المؤمنين (عائشة) -رضي الله عنها- فعلى الرغم من شهرتها الواسعة؛ فإني رأيت أنّه لا بدَّ من ذكر ترجمة بسيطة عنها، وعن الشخصيات التي ورد ذكرها في الحديث.

٣- بعض **المطالب، وكانت على النحو التالي:**

أولًا: التداوليَّة ومجالاتها.

ثانيًا: تعريف الإشاريّات لغةً، واصطلاحًا، وأهمّ خصائصها

ثالثًا: أنواع الإشاريّات.

رابعًا: الدِّراسَات السابقة.

أمَّا المبحث الثاني: فقد خصَّصته للجانب التطبيقيّ؛ لبيان وتحليل أهمِّ الإشاريات التداوليَّة الواردة في نصِّ الحديث، فضلًا عن إشارات الخطاب، كواحدٍ من أهمِّ مجالات النظريَّة التداوليَّة.

المبحث الأول: التمهيد: (والنصُّ المروي)

تمثِّل قصة نزول القرآن على الرسول الكريم ﷺ وتلقِّي الوحي، واحدةً من القصص التي لا نملُّ من روايتها وسماعها؛ كيف لا وهي: ليلة النور والبرهان، وبدء تحوُّل العالم أجمع من الظلمات إلى النور، بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد بن عبدالله ﷺ. قال عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان: ٣-٦] وخير مَن روى قصة نزول وحي السماء جبريل عليه السلام على النبي ﷺ هي أُمُّ المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- وذلك فيما يرويه البخاريُّ عن عروة بن الزبير أنَّ عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: "كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ- (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ

مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ – ٥] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدا. وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى – وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ – فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَآهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا". وفي رواية للبخاريّ: "ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِيَ وَفَتَر الوحْي فترةً حتى حَزِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم"(١).

(١) الراوي: عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري برقم: ٦٩٨٢ | وخلاصة حكم المحدث: [صحيح]

راوي النصِّ:

أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما– تزوَّجها النبيُّ ﷺ في مكَّة، ولمس فيها ذكاءً حادًّا وكانت أحبَّ نسائه إليه، ففي الصحيحين:

"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على باقي الطعام"(١)، وعند البخاريِّ قال فيها لأمِّ سلمة: "والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها"(٢)، وتُوفِّي النبي ﷺ في يومها، وفي بيتها، كانت على جانب كبير من العقل والفهم والعلم، ونشرت للأمة علمًا كثيرًا بروايتها للكثير من الأحاديث، روى عنها جمع من الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– منهم: عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو موسى، وزيد بن خالد، وغيرهم كثير، وكانت وفاتها في المدينة في رمضان سنة ثمان وخمسين، وأمرتْ أن تُدفن بالبقيع، فدُفنت، وصلى عليها أبو هريرة ﷺ وعنها وأرضاها(٣).

الشخصيات التي ورد ذكرها في الحديث:

١– السيدة خديجة: أم المؤمنين –رضي الله عنها– خديجة بنت خويلد بن أسد

(١) صحيح البخاري، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٦٩)، ومسلم بـ (٢٤٣١).

(٢) المصدر السابق برقم (٣٧٧٥) وعند النسائي برقم:(٣٩٤٤) والترمذي برقم: (٣٨٧٩).

(٣) انظر: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، "أسد الغابة في معرفة الصحابة". (القاهرة: شركة مصر للطباعة، ٢٠١٧م)، ٧: ١٨٨، وأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة. (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م)، ٨: ٢٣١، وأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري". (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤م)، ٧: ١٠٧.

القرشيَّة، أولى زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأم أولاده: القاسم، وعبد الله، وبناته: زينب، ورقيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة، عاشت مع الرسول خمسة عشر عامًا قبل البعثة، فكانت نعم الزوجة التي تعتني بزوجها وأبنائها وبيتها، تُسيِّر القوافل التجاريَّة، وتُوفِّر له مؤنة الاعتكاف في غار حراء، وكانت أول من آمن به وصدَّقه بعد نزول الوحي، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة الذي بشَّره بأنَّه سيكون نبي الأمة، كما كانت تستشعر ذاك من قبل، فمن يوم أنْ حبب له الخلاء، وقفت معه وقوف المؤمنة الصابرة، تعينه وتصبِّره على تكذيب قريش له، دخلت مع الرسول شعب بني عامر بعد أنْ حوصر الرسول، وعموم آل هاشم فيه، تحمَّلت الحصار قريش طيلة ثلاث سنوات، وخرجت من الشعب لتبدأ رحلة معاناة أخرى مع المرض، وما لبثت أنْ ماتت قبل الهجرة، عن خمس وستين سنة، قضت خمسًا وعشرين منها برفقة أعظم زوج عرفته البشريَّة، ودُفنت في الحجون بمكَّة(١).

٢- ورقة بن نوفل، ابن عمِّ أمِّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-، وأبوه أسد بن عبد العزى بن قُصي، قُرشي، من حُكماء الجاهليَّة الذين اعتزلوا عبادة الأوثان، يقال: إنَّه تنصَّر وقرأ في الكتب السماويَّة، وكتب منها ما كتب بالعربيَّة، أدرك أوائل نزول الوحي على النبي ﷺ، كما ورد في النص المروي -موضوع الدِّراسَة- ولم يدرك الدعوة(٢).

(١) انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، "سير أعلام النبلاء". (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م)، ٢: ١١٠-١١٧.

(٢) انظر: ابن جرير الطبري، "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، =

٣- عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن العوَّام الأسديُّ، أبو عبد الله، تابعيٌّ، وفقيه المدينة في زمانه، وأحد المكثرين في الرواية عن خالته أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن أختها أسماء أمِّه؛ فقد لازمها وتفقه بداية على يديها، يعدُّ من الأوائل الذين حرصوا على تدوين الحديث، ومقتطفات من بدايات التاريخ الإسلاميِّ، وعُرِف عنه براعته في رواية الشعر أيضًا[١].

٤- الزهريّ: أبو بكر المدنيّ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ القرشيّ، سكن الشام، من علماء الطبقة الرابعة، ومن أبرز رُواة الحديث، وأكثرهم حفظًا له، وقد أسهم في تدوينه بأمر من عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل: ١٢٤هـ[٢].

=

القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ٢: ٣٠٢.

(١) انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، أحمد أمين، "ضحى الإسلام". (ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة)، ٤: ٤٢٢ وما بعدها، عبد العزيز الدوري، "نشأة علم التاريخ عند العرب". (أبوظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٨٤-٨٥.

(٢) انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، ٥: ٣٢٦، أبو الفداء اسماعيل ابن كثير، "البدايَّة والنهايَّة". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، ٩: ٣٤١-٣٤٤.

مطالب المبحث الأول

أولًا: التداوليَّة ومجالاتها

التداوليَّة: عِلمٌ من اللسانيات يهتمُّ بتفسير الفرق بين معاني كلمات الكلام الإنسانيّ ومعاني مقصود المتكلِّم، بدراسة مختلف المحدِّدات التي تتعلق بالتداول اللغويّ بالنسبة للسياق والمقام، باعتبارهما شرطين أساسيين في الكيفيَّة التي يحصل بها التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبيَّة تدليلًا وتوجيهًا، والمجال التداولي هو: الذي يهتمُّ بدراسة أفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب(١).

وهي باختصار: دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل؛ لأنَّها تشير إلى أنَّ المعنى ليس شيئًا متصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقي وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد (ماديٍّ، واجتماعيٍّ، ولغويٍّ)، وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما(٢).

وقد عنيت التداوليَّة بأكثر من جانبٍ من جوانب الخطاب، وقد أرجع بعضهم هذه الجوانب إلى مساراتٍ عدة، منها:

الإشاريّات، والاستلزام الحواريّ، والأفعال الكلاميَّة، والمعلومات الإخباريَّة التي يحتوي عليها الكلام ... وغيرها(٣).

---

(١) انظر: جواد ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها". (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع)، ٧٦.

(٢) د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ١٤

(٣) ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب". (ط١، بيروت: دار الكتب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ١: ٢٤.

إنَّ العناصر الإشاريَّة والسياق مرتبطان ببعضهما ارتباطًا شديدًا، وهذا ما أكَّده جملة العلماء المهتمين بتلك العناصر، أذكر منهم: أ. حمادي مصطفى عندما رأى أنَّ العناصر الإشاريَّة ما هي إلا "علامات لغويَّة لا يتحدَّد مرجعها إلا في السياق الخطابيّ التداوليّ؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها"(١).

وإن ما يهمني –نظريّا– في مجال بحثي: تعريفها، وذكر أنواعها وخصائصها، وبعضٍ من الدِّراسَات السابقة التي خصَّصها الباحثون لدراستها، وتطبيقها على الأنموذج الذي وقع الاختيار عليه. من النصِّ المروي عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– بشارات النبوَّة وبدء نزول الوحي.

ثانيًا: الإشاريّات لغةً، واصطلاحًا

لغة: من الإشارة ومن مصدر الفعل أشار من مادة (شور) جاء في لسان العرب: (أشار الرجل يُشِيرُ إشارةً: إذا أَوْمَأَ بيدَيه. ويقال: أشَرتُ إليهِ بيدَي وأشرتُ إليهِ، أيْ: لوّحتُ إليه وألَحْتُ أيضًا. وأشار إليه باليد: أوْمَأَ، وأشَارَ إليه بالسبابة، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم: ٢٩] وأشار عليهِ بالرأي. وأشار يُشيرِ إذا ما وَجَّهَ الرأيَ (٢) وتقترن الإشاريّات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على مجموعة من الوحدات التركيبيَّة والعوامل الدلاليَّة غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ.

(١) أ. حمادي مصطفى، "تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني... مقاربة تحليليَّة لكشف المقاصد والأبعاد". *مجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس* ٢٦ (٢٠١٦م): ٦٤.

(٢) جمال الدين ابن منظور المصري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٤: ٤٣٦، وأحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربيَّة المعاصرة". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٢: ١٢٦.

واصطلاحًا في مسرد التداوليَّة: الصيغة اللغويَّة التي يتمُّ بها التأشير باللغة، ويشير القاموس الموسوعي للتداوليَّة إلى أنَّ الإشاريات هي: ما يُمكننا إسناد دلالة لها على أساس الإرشادات اللغويَّة المتصلة بها إنْ نحن عرفنا مقام القول، فالإشاريات مجموعة من العلامات التي تدخل ضمن التلفظ والسياق، ولا تكون مستقلة بذاتها ومعناها، بلْ هي مرتبطة بالسياق، وبأبعد من ذلك، وهو الخلفيَّة الشاملة للمرجع المقصود؛ لأنَّه إنْ لم يُفهم ذلك المرجع بشكلٍ كافٍ لتحصيل الرسالة التي يُراد إيصالها، فلا داعي إذًا لاستعمال الإشاريّات؛ لأنَّ الغرض منها يكْمن في المعادلة التاليَّة (إشارة = دلالة كاملة بخلفيَّة كاملة عن المرجع الذي نُريد الإشارة إليه)، فإن لم يتحقَّق طرفا هذه المعادلة، فإنَّ الإشارة لا معنى لها؛ فلذلك هي تنسب إلى حقل التداوليات؛ لأنَّها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق التي تستخدم فيه(١).

والحقيقة أنَّ المصطلحات المعبِّرة عن الإشاريات لدى العلماء المحدثين عديدة؛ فقد أشار (روبرت دي بو جراند) إلى أنَّها الألفاظ الكنائيَّة(٢)، بينما أطلق عليها (بيرس) الإشارة أو العلامة الإشاريَّة، وأرجع ذلك إلى الإشارة من خلال اللغة، والتي قد تكون بأداة وتشمل إشارات حسيَّة، وتتمثل بأسماء الإشارة التي تدلُّ على مسمَّاها... (٣).

في حين أطلق عليها (الأزهر الزنَّاد) العناصر الإحاليَّة في اللغة، وعدها من قبيل المعوِّضات، وأشار إلى أنَّها تأتي تعويضًا عن وحدات معجميَّة (أسماء مفردة وما

(١) انظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص ١٥ وما بعدها.

(٢) روبرت دي بور جراند، "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ٣٢٠.

(٣) ينظر: محمد عبد السلام، "آفاق تداوليَّة في النصوص النثريَّة الكاملة أعمال علي الجارم نموذجًا". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ١٢٥.

يضارعها من المركبات)، وقصده في ذلك المشار إليه أو المحيل إليه[١]، أمَّا (لنفنسون) فقد رأى أنَّ الإشاريات هي: "تذكير دائم للباحثين النظريين، بأنَّ اللغات الطبيعيَّة وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه، كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنَّا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[٢]، فالخطاب اللغويّ وصناعة المعنى محصور في إنتاجه على الإشاريات التي تُحدِّد المرجع بين التخاطب (متكلِّم، سامع)، في سياق محدد ماديٍّ واجتماعيٍّ ولغويٍّ، وصولًا إلى المعنى الكامن في كلام ما[٣].

ومما يجب ذكره في هذا المقام أنَّ عالم اللسانيات وأحد أهم الشخصيات– كما قيل– في التطور المبكر لعلم اللغويات (إدوار سأبير) ت١٩٣٩م عرّف اللغة بأنَّها: "وسيلة إنسانيَّة محضة، غير غريزيَّة لإيصال الأفكار والعواطف، والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة"[٤]، فيا ترى هل أراد بقوله: "نظام من الإشارات المقصودة "ما تعنيه الإشاريات عند العلماء المحدثين الذين ظهروا في بدايات هذا القرن، واهتموا بالتداوليَّة والإشاريات كظاهرة من الظواهر التي لا تظهر إلاَّ في سياق الكلام، وجانب من جوانب الخطاب.

الحقيقة أنَّ مراده كان محصورًا في إخراج أصوات الحيوانات، والأصوات غير

(١) الأزهر الزنّاد، "نسيج النص: بحث فيما يكون الملفوظ نصًا". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م)، ١١٥–١١٦.

(٢) د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص ١٦.

(٣) ينظر: حبيب مؤنسي، "مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام، التداوليَّة ومقاصد الخطاب الأدبي البراغماتي"، المدونة الإلكترونيَّة: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع، ١٤.

(4) john Lyons, "Language and Linguistics". (Cambridge University press), p.3.

الكلاميَّة التي يصدرها الإنسان، كالبكاء، والضحك، والسعال، وما شاكل ذلك من اللغة؛ لأنَّها غير معبِّرة أو غير مقصودة، لا ما أراده المحْدَثون من التركيز على دورها في سياق الكلام، وصولًا إلى المعنى المراد.

كما يجب علينا أيضًا معرفة أنَّ علماء العرب –قديمًا– اهتموا بها من بين أدوات الربط بين أجزاء الجملة، وبين مجموعة الجمل، وكانوا يُطلقون على الإشاريات اسم المبهمات؛ على اعتبار أنَّها من العلامات اللغويَّة التي لا يتحدَّد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها، وأنَّ كلًا من أسماء الإشارة والموصول والضمائر وبعض الظروف، كنحو: (قبل وبعد) أسماء مبهمة عند النحويين، فهي معارف غير محدَّدة المعنى بذاتها[1] المهم "أنَّ كل التّعريفات اللّغويَّة للإشاريات تلتقي في مفهوم الإشارة والتّعيين لذاتٍ، أو شيءٍ، أو زمانٍ، أو مكانٍ ... وغيرها، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه؛ قصد التّواصل وتوصيل فكرة مُعَيَّنَةٍ في ذهن المتَكَلِّم"[2]، وتنحصر أهمّ خصائص الإشاريات في أنَّها:

علامات لسانيَّة تخضع للتّواضع والاصطلاح بين المتَخَاطِبين، وأنَّها لا تؤُدِّي منفردةً وظيفةً دلاليَّة في أيّ موضوع، سواءً كان واقعيًّا أم خياليًّا، بل تقترن دائمًا بالموضوع الذّي لها صلة به، والسِّياق الذي أُنْتِجَتْ فيه، وأنَّها تقوم بدورٍ حيويّ في

(١) ينظر: أبو سعيد السيرافي، "شرح الكتاب". تحقيق: أحمد حسن مهدلي، د. علي سيد علي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م)، ٢: ٣١٠، وابن هشام الأنصاري، "شرح شذور الذهب". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المعاهد الأزهريَّة)، ٣٢٦.

(٢) لعباديَّة ريمة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة". *مجلة إشكالات في اللغة والأدب ١١(٢)*، (٢٠٢٢م): ١٥.

تحقيق فاعليَّة التّواصل مِنْ حيث كونها مُحِيلَةً على موضوعات ذات مرجعيَّة معلومة لأطراف التّواصل[١].

ثالثًا: أنواع الإشاريات

توصلت من خلال ما سبق ذكره من أقوال العديد من العلماء، إلى أنَّ الإشاريات تتوخَّى التعيين والتحديد المتعلِّق بالأشخاص والأشياء والأحداث والأنشطة التي نتحدَّث عنها، والتي نُحيل إليها في علاقتها بالسياق الزمانيّ والمكانيّ المتولد عن فعل التلفّظ[٢]، ويخلُص أغلب الباحثين إلى أنَّ الإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصيَّة، وإشاريات زمانيَّة، وإشاريات مكانيَّة، وإشاريات اجتماعيَّة، وإشاريات خطابيَّة أو نصّيَّة، وقد اقتصر بعضهم على كونها ثلاثة أنواع: شخصيَّة، وزمانيَّة ومكانيَّة، التي تمثِّل (الأنا، والآن، والهُنا)[٣]، ليتفرَّع بعد ذلك من الإشاريّات الشخصيَّة (الإشاريّات الخطابيَّة) عند من عدَّوها أربعة أنواع، ويتفرع من الإشاريات المكانيَّة (الإشاريات الاجتماعيَّة) عند من عدوها خمسة أنواع، إضافة إلى (الإشاريّات الموصولة) عند من أضافوا لها نوعًا سادسًا.

والذي يهمني في هذه الدِّراسَة هو الأنواع الثلاثة الأولى، فهي التي تمثل لبَّ الإشاريات من حيث إنَّها تعالج الجانب الشخصيَّ، الذي يقوم عليه الخطابُ، فالخطاب مكوَّن من متكلِّم (أنا، نحن)، سواء أتت صريحة بضمير منفصل، أو أتت

(١) ينظر: ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها"، ٧٧-٧٨، و*مجلة إشكالات* ١١، ٢: ١٧.
(٢) ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها"، ٧٨.
(٣) الزنّاد، "نسيج النّص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا"، ١١٦.

بضمير متصل (تاء الفاعل، ونا الدالة على الفاعلين)، أو أتت بضمير مُستتر مقدَّر، ومُخاطب (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتنّ، أنتم)، وسواءً أتت صريحةً بضمير منفصل، أو أتت بضمير متَّصل (تاء الفاعل المخاطب المذكر والمؤنث بمفردها، أو ملحقًا بها ألف الاثنين، أو ميم الجمع المذكر، أو نون النسوة)، أو أتت بضمير مستتر مقدَّر، وهناك جانب آخر للخطاب قد لا يكون مشاركًا بشكلٍ مباشرٍ، إلاَّ أنَّ له أثرًا في مجريات الخطاب، وهو ضمير الغائب المتمثل في: (هو، هي، هما، هنّ، هم)، سواء أتى ظاهرًا، أو متصلا أو مقدّرًا، وكذلك يدخل أسلوب النداء في هذا الجانب(١).

والحقيقة أنَّ مدار الإشاريات الشخصيَّة ينتج عنه الخطاب؛ لذلك فدراسة الإشاريات الشخصيَّة يندرج فيه -بشكل عارض وأكيد- دراسة الإشاريّات الخطابيَّة، ولأجل ذلك لم يعدّها بعضهم نوعًا مستقلًّا، وعلى هذا تُقاس بقيَّة الأنواع الأخرى غير الأنواع الثلاثة الأخرى، والتي سيكون التركيز عليها في دراستي للجانب التطبيقيّ من الحديث.

رابعًا: الدِّراسَات السَّابقة

وعن الدِّراسَات السابقة فقد عثُرت على جملةٍ من الأبحاث المنشورة، التي تناول الباحثون فيها الإشاريّات التداوليَّة في عددٍ من النصوص الشعريَّة والنثريَّة، منها:

- الإشاريات التداوليَّة في نماذج مختارة من مرويات الثعالبي أ. عبير عبده حزام الفودعيّ، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدِّراسَات، مجلد١، العدد٣، ٢٠٢٤م، وقامت الدِّراسَة على توضيح المقصود بالإشاريات وأنواعها، معتمدةً في الجانب

(١) ينظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر"، ١٦-١٧.

التطبيقي على نماذج تراثيَّة من مرويات الثعالبي في كتابه (الكناية والتعريض) تحقيق: أسامة البحيريّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة: مصر، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- البُعد التداوليُّ للإشاريات في الخطاب النثريّ، مقامة أبي الخصال الأندلسيّ أنموذجًا، الكاتب: خولة جلالة، زرقين فريدة، بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١١، عدد٢، ٢٠٢٢م، الناشر: المركز الجامعيّ، أمين العقال الحاج موسى.

وفيه أبرزت الباحثة أهميَّة الإشاريات بأنواعها المختلفة، واختارت مقامة الخصال التي عرض فيها إحدى مقامات الحريري في محاولة لتعيين مرجعيَّة العناصر الإشاريَّة ضمن ظروف استعمالها.

- الإشاريّات الشخصيَّة ومقاصدها التداوليَّة في شعر البردوني، لـ (ريمة يحي، جودي مرداسي) قسم اللغة والأدب العربي والفنون –جامعة باتنة (الجزائر)– مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١٠عدد٤، السنة: ٢٠٢١م، وفيه اقتصر الباحثان الحديث عن الإشاريات الشخصيَّة؛ لأنَّها كانت المهيمنة في شعر البردوني.
- تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليليَّة؛ لكشف المقاصد والأبعاد لـ أ. حمادي مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر) مجلة الأثر العدد ٢٦، ٢٠١٦م، وفيه استعرض الباحث، أهميَّة الإشاريات في تحليل الظواهر التداوليَّة للملفوظات القوليَّة داخل الخطاب، واختار النص الدينيّ كأنموذج لما يحمله من خصائص ينفرد بها عن غيره من الخطابات الأخرى في

المرجعيَّة باعتباره كلام الله، ولما يحمله من دلالات لا يمكن كشف معانيها إلَّا من خلال تحديد السياق القوليّ له.

والحقيقة أنَّ هذه الأبحاث غيض من فيض الدِّراسَات الأخرى التي تناولت موضوع الإشاريات، والتي تقفنا على مدى اهتمام الباحثين بالإشاريات التداوليَّة، والأمر راجعٌ –في رأيي– إلى حداثتها، وتبقى لدراستي هذه جدتها وأهميتها، فقد تناولت جانبًا تطبيقيًّا ربُّما لم يسبقني أحدٌ في تناوله للإشاريات وأنواعها في نصٍّ من نصوص الأحاديث المرويَّة عن صحابة رسول الله الكرام ﷺ، فاخترت الحديث المتعلق بفجر النبوَّة، والذي روته لنا أمُّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– لأستنبط وأكشف عن الإشاريات التي أتت على ذكرها، وجعلت المتلقين يستشعرونها، وهي ترسم من خلالها مشاهد نزول الوحي والنور الذي سطعَ من غارِ حِرَاء.

المبحث الثاني:

وقد قسَّمته إلى جانبين:

١– الجانب النظري وفيه: التمهيد، وما تخلَّله من ذكر لقصة بشارات النبوَّة لرصد الجوِّ العام للحديث والظلال التي أحاطت به.

٢– **الجانب التطبيقي** ويشمل الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث ضمن المطالب التالية:

أولًا: الإشاريات الشخصيَّة.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

ثالثًا: الإشاريات المكانيَّة.

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة.

التمهيد:

إنَّ البحث في الإشاريات لا يقتصر على تشخيصها داخل الخطاب، وإبرازها على سبيل الإحصاء، وإنَّما إظهار المعاني التي تؤدِّيها، أو المرجعيات التي تحيل إليها، ومن دون الوقوف على هذه المعاني نفرّغ التداوليَّة من محتواها؛ لأنَّه من اليسير جدًّا على أيِّ باحثٍ التدليل على هذه الإشاريات، وإظهارها، وتعدادها؛ ولكن القيمة الحقيقيَّة تكمُن في إظهار المعنى الذي يريده المتكلم منها، والغرض الذي من أجله استعملها، فكلام السيدة عائشة فيما روته من الحديث عن أوائل نزول الوحي –رضي الله عنها– جمع العناصر الإشاريَّة (الضمير، والمكان، والزمان، والتي يعبر عنها بمصطلح: (الأنا، والهُنا، والآن)[١]، وقد رأيت أنَّه من المفيد قبل البدء في الحديث عن

(١) ريمة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة"، ص ١٥ وما بعدها.

أنواع الإشاريات الواردة في الحديث بشكلٍ مفصّل مُفعَم بالشواهد من نص الحديث، أنَّ ألقي الضوء على الظلال التي أحاطت به، والجوّ العام الذي اكتنفه، والجوّ النفسيّ الذي ساد فيه، وجعلنا نتعايش مع كلّ دقَّة قلبٍ، ونبرة صوت، وزفرة حنان، ولمسة اطمئنان، صدرت من الحبيب المصطفى ﷺ روتها ورسمتها لنا أم المؤمنين –رضى الله عنها– في تلك اللحظات المصيريَّة التي فجئته وهو يتحنَّث في غار حراء، وموقف من أحاطوا به وعايشوه تلك اللحظات بعد أنْ رجع إلى بيته.

بدأت القصة بدخول جبريل –عليه السلام– على النبي ﷺ في هيئة رجل، ودخول رجلٍ على رجلٍ ليس مفزعًا؛ إذ لم يكن غريبًا، حتى وإن كان العهد به أول مرةٍ، ومن دون مُقدِّماتٍ، والسؤال في هذا المقام، لماذا فزعَ النبي ﷺ لمَّا رأى جبريل عليه السلام؟

تروي السيدة عائشة –رضي الله عنها– فتقول: "دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَائلًا له: اقْرَأْ. دون مقدماتٍ ودون سلام، يخاطبه وكأنه يعرفه من زمن، والرسول لا يدري أيّ شيءٍ يقرأ؛ فالرسول أُمّيّ؛ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وهو يقول له اقرأ؛ فقال ﷺ "مَا أَنَا بِقَارِئٍ". لم يسأله الرسول ﷺ مَن أنت؟ وماذا تريد؟ فقد بُهت بدخوله عليه فجأة، وبردة الفعل الذي أفزع الرسول ﷺ حينما اقترب منه، ثم احتضنه بشدة. حَتَّى بَلَغَ منه الْجَهْدَ" ثم أفلته، ثم رجع إليه مرةً أخرى "ثمَ قَالَ: اقْرَأْ للمرة الثانيَّة، وكذلك فعل في المرة الثالثة، وهو يقول: مَا أَنَا بِقَارِئٍ...

شدة وقوة أظهرها الوحي في التبليغ، وكأنه يقول له: انتبه، لست تحلُم يا محمد؛ هذه حقيقة. ثم قَالَ له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥].

وفي تلك اللحظات التي مرَّت مرور البرق، تبدأ الأسئلة تتوارد بشكلٍ متسارع على نبي البشريَّة يا ترى مَن هذا الرجل؟ كيف ظهر؟ وكيف اختفى بعدما قال هذه

الكلمات؟ الرسول حقيقة لا يعلم ماذا حصل، ولكنْ وبكل تأكيدٍ عرف منذ اللحظة الأولى، أنَّ هذا الكلام ليس من كلام البشر، بلْ كلام إعجاز، وأنَّ هذا الرجل جاءه يتحدّث عن الإله الذي يبحث عنه منذ زمنٍ؛ فهو طالما اعتكف، وفكّر؛ ليعرف مَن خالق هذا الكون، وها هو هذا الرجل يتحدَّث عن الإله الذي خلق، الذي يتكرَّم، الذي يعلم... ولكن تركه وذهب، ولم يخبره عن أيّ شيءٍ، وكان في كلّ مرةٍ يغطّه حتى يبلغ منه الجهد ما يبلغ. بدليل قوله ﷺ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. خشية جعلته يذهب ويجري خائفًا إلى بيته قاطعًا تعبُّده، باحثًا عن الأمان. رَجَعَ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ هلعًا وخوفًا شديدًا، أظهر بشريَّة الرسول ﷺ، وكذلك أعده وشوقّه وهيأه لما سيأتي بعد ذلك.

ويصل الرسول ﷺ إلى الملاذ الآمن إلى بيته، ليروي الموقف الغريب الذي حدث له، وما قيل له من كلماتٍ لأقرب إنسان إلى قلبه، للسيدة خديجة –رضي الله عنها– وبعد أنْ استجمع نوعًا ما قِواه، قال لها: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فيا ترى كيف استقبلت الخبر؟ وماذا كان موقفها؟

استقبلته بثقة المرأة الموقنة بصدق زوجها، فقالت له في يقين غريبٍ كلمات سطّرها التاريخ: كَلا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، لقد أدركت السيدة خديجة بحدسها وتقديرها أنَّ هذا الرجل صاحب الأخلاق الحميدة لن يخزيه الله أبدًا، مُشيرةً بأوصافه تلك من خلال معاملاته للناس، وخدماته التي طالما قدّمها لهم دون فتورٍ، أو كللٍ، ولم تشر من قريبٍ، أو بعيدٍ إلى تحنّثه وتعبّده، وكذلك لم تشأ تلك الزوجة المرأة العاقلة المخلصة أن تترك زوجها للأوهام والضلالات، وفضَّلت أن تذهب به إلى أهل العلم والدراية؛ تبحث له عن جواب شافٍ لما حصل له، فاختارت ابن عمها "ورقة"، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. تَنَصَّرَ فِي

الْجَاهليَّة، وَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ وعلم أن نبيًّا سيخرج في آخر الزمان، وكان ينتظره؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ (وكان يعرف أخلاق النبي ﷺ وصفاته الحميدة): يَا بْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الذِي نَزَّلَ عَلَى مُوسَى.

ولنتخيل في تلك اللحظة كَمّ الأحاسيس والمشاعر التي جاشت في صدر النبي ﷺ وهو يسمع هذا الكلام، أن يكون الله -سبحانه وتعالى- قد اختاره من بين كل الخلق؛ ليكون نبي آخر الزمان.

وتابع ورقة كلامه، ليسوق للنبي خبرًا آخر قائلًا: "يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا (شابًّا)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ". فَقَالَ ﷺ "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟". فلم يكن النبي ﷺ يعرف خبر الأنبياء ولا تكذيب أقوامهم لهم، فقال: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟"، فقَالَ له ورقة بيقين وثبات: "نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إلا تعرّض للأذى والعداوة". ثم يقول ورقة: "وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"، ثُمَّ لَمْ يَلبث وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وشاء الله أن يفتر الوحي، وكان انقطاع الوحي بمنزلة صدمة للنبي ﷺ، فهو لم يتيقن بعد، والشك شعور قاتل، ولكنَّ هذا الفتور والتأخير زاد النبي ﷺ اشتياقًا لرؤيته مرة أخرى؛ لتبدأ من هنا رحلة النبوة والتبليغ والتبشير والإنذار، وانطلاق الرسالة بالشوق، ثم الصوت، ثم الرؤية الحقَّة لجبريل، وهو جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرض، وبالفزع مرةً أخرى، ومن ثمَّ الرجوع للسكن الآمن، طالبًا من خَدِيجَةَ -رضي الله عنها- أن تزمّله وتدثّره ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥].

هكذا بدا الجوُّ العامُّ للحديث، وسياقاته الدلاليَّة، والذي أرى أنَّه سيكتمل بعد ذكر الإشاريات التي وردت فيه، من خلال ربطها بالسياق التي وردت خلاله، فالتداوليات حقل لسانيٌّ يهتمُّ بالبعد الاستعمالي، أو الإنجازيِّ للكلام، ويأخذ بعين

الاعتبار المتكلم والمتلقي. والإشارة عمليَّة يستخدم بها المتكلم، أو الكاتب صيغًا لغويَّة؛ ليمكِّن المستمع أو القارئ من تحديد شيء ما[١].

– **الجانب التطبيقي ويشمل الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث ضمن المطالب التالية:**

أولًا: الإشاريات الشخصيَّة.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

ثالثًا: الإشاريات المكانيَّة.

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة.

عرفنا أنَّ الإشاريات (Deictics) ما هي إلاَّ العلامات اللغويَّة التي لا يتحدَّد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب؛ لأنَّها خاليَّة من أيّ معنى في ذاتها، مثل: الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان[٢]... وإذا كان للمتكلِّم غرضٌ ينبغي بموجبه أنْ يشاكل المخاطب هذه المعرفة، فالمتكلم يشاكل المركز الذي من خلاله يمكن أنْ نحدد مسألة القرب والبعد الماديّ والاجتماعيّ بالنسبة لأطراف الخطاب؛ ولتوضيح هذا الكلام سأعمد إلى ذكر أصناف الإشاريات بداية، وسأوضِّح من خلالها المفاهيم التداوليَّة التي تكتنف كلًّا منها، سواء كان الكلام المروي من كلام أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– برواية ابن أختها عروة بن الزبير عنها، أو شرح لبعض الألفاظ التي أتت موصولة بالحديث، أو من كلام

(١) مجيد الماشطة، وأمجد الركابي، "مسرد التداوليَّة". (ط١، الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م)، ٥٧.

(٢) ينظر: بلبع عيد، "التداوليَّة البعد الثالث في سميو طيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". *مجلة فصول* ٦٦ ، (٢٠٠٥م): ٤١.

الزهريّ كما قيل.

أولًا: الإشاريّات الشخصيَّة

كان لهذه الإشاريات حضور قويٌّ داخل الحديث المروي، بحيث شملت عددًا من الحروف وبعضًا من الأدوات والأسماء، ومنها: (ما النافية، أي لنداء القريب، يا النداء البعيد، وليت للتمنّي، وكَلَّا أداة ردع وزجر، ومن حروف العطف (ثمَّ والفاء) وحرف الغاية حتى ... ومن الأسماء الضمائر بأنواعها المختلفة (المتكلِّم والمخاطب والغائب) المتصلة منها والمنفصلة، وكانت على اختلافها هي الأكثر والأظهر عن باقي أنواع الإشاريات الشخصيَّة الأخرى، بحيث شكلت ملمحًا أسلوبيًّا بدا واضحًا في سياق الحديث، وهذا أمر بدهيٌّ؛ فالنصُّ حديثٌ مروي شخصته ورسمت مشاهده أم المؤمنين بالحروف والكلمات والجمل عن واقعة حصلت حدّثها عنها المصطفى عليه السلام، ومن ثمَّ جرت على لسان فلانٍ عن فلانٍ عن النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام؛ ولكي يستطيع القارئ من معايشة جماليات الأسلوب الذي وردت به، والتي أسهمت تلك الإشاريات في بلورتها بأقل العبارات وأدق التعبيرات، حرصت على ذكرها تباعًا حسب ورودها في النصِّ؛ وكان ضمير الغائب المتصل المجرور بالباء في قولها: (به) **أولها**، وهو عائد للكلام عن بدايات الوحي، و(مِنَ) في قوله –(الْوَحْي) تبعيضيَّة أيْ: من أقسام الوحي الرؤيا الصادقة، ويحتمل أن تكون بيانيَّة، أيْ: هي الرؤيا الصالحة.

تلاه الضمير الغائب المستتر، وتقديره: (هو) في كلٍّ من الأفعال: (كان، يرى، يأتي، يتحنَّث)، وكله عائد على الرسول عليه الصلاة والسلام، أمَّا ضمير الغائب في (جاءت) فتقديره: هي وعائدة على الرؤيا، أمَّا قول أم المؤمنين: (ثُمَّ حُبِّبَ إليه الخلاء) ففيه الضمير المتصل بـ إلى، والأصل ثم حبب الخلاء إليه. أيْ: إلى الرسول، والمراد بالخلاء: الخلوة وهو أن يجلس الإنسان مع نفسه يتفكّر في شأن هذا الكون، وهذا

شأن الصالحين، وعباد الله العارفين المتفكرين في هذا الكون وعجائب صنعه، فهم يختارون المكان الأبعد عن الناس غالبًا والمكان الوعر المسلك والصعب في الصعود، وهذا ما اختاره رسولنا الكريم، لقد اختار غار حراء، واختياره له في رأيي ترتيب وإلهام ربانيّ، وهو آية بحد ذاته. ومجيء (ثم) في سياق الكلام إشارة إلى أن تحبيب الخلوة جاء متأخِّرًا عن الرؤيا الصادقة، وجيء بـ (ثم) لترتيب الأخبار.

وفي قولها: (يَتَحَنَّثُ فِيهِ) ضميران، الأول: المستتر في يتحنَّث، والمتَّصل الغائب في: فيه، أيْ: في الغار، وأمَّا الشرح الموصول بالحديث وضمير الغائب البارز في قول الشارح: (وَهُوَ: التَّعَبُّدُ) والذي فسر فيه: معنى التحنُّث بالتعبُّد، فهو تفسير الزهري –رحمه الله– لئلا يظن ظانٍ أنَّه من الحنث فينقلب المعنى، وفي قول عائشة (حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ): جاء ضمير الغائب المتصل بالفعل في فجئه، مشيرًا إلى دخول جبريل عليه دون سابق إنذار، والمراد بالحقِّ، الحقُّ الذي جاء به جبريل عليه السلام للرسول مكلّفًا به من عند الله، قال النوويّ[١] –رحمه الله– أيْ: جاءه الوحي بغتةً، فإنَّه ﷺ لم يكن متوقّعًا للوحي[٢]. ولا إلى مجيئه في ذاك الغار النائي، مشيرًا إليه بقوله: وهو بالضمير الغائب البارز المنفصل؛ ليؤكِّد وجوده في الغار؛ وليزداد تأكيد مجيئه بضمير الغائب المتصل في قوله: (فجاءه)، والغائب المستتر في (قال) مستعجلًا القول، وسائلًا قبل أن يُسْأل، فقبل أن يبادره الرسول عليه السلام السؤال بالتعريف عن نفسه، وسبب حضوره، استخدم أسلوب المفاجأة مرَّة أخرى بقوله: اقرأ وبالضمير

(١) محي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، نسبة إلى مدينة نوى في جنوب سوريا الآن ٦٣١-٦٧٦هـ، محدث وفقيه ولغوي، من مؤلفاته: الأربعين النوويَّة، رياض الصالحين وغيرهما...ينظر: شمس الدين السخاوي، "المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء الإمام النوويّ". (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٥م)، ٣.

(٢) شرح النوويّ على مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث: ١٦٠، ٢: ٣٤٩.

المستتر فيها (أنت) أيْ: أنت المعني بالقراءة، ليأتي الجواب قال، مشارًا إليه بضمير الغائب المستتر (هو) ثم بالمتكلِّم أنا متبوعًا، ومؤكدًا بالباء في قارئ (اسم الفاعل) الدالِّ على التجدُّد والحدوث، (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) و(مَا) نافية، والمعنى لا أحسن القراءة، وأمَّا من جعل (مَا) استفهاميَّة على معنى: ماذا أقرأ؟ –فرأي لا أميل إليه– ويضعِّفه دخول الباء على الخبر قارئ.

وتتابع بعد ذلك جملة من الإشاريات المعبَّر عنها بضمائر الرفع المستترة كما في: الفعل قال، مكررة مع السياق ثلاث مراتٍ، وضمير النصب المتصل (الياء) في: فأخذني، فغطني، أرسلني، مُكررًا الفعل نفسه تباعا كذلك ثلاث مرات، فعلٌ أتعبه (فغَطَّنِي) بفتح الغين وتشديد الطاء، أيْ: ضمني وعصرني، وأصل الغط: حبس النفس، والغط: العصر الشديد والكبس[1] (الْجَهْدَ) بفتح الجيم وضمها لغتان الغاية والمشقة، فبالفتح بلغ الغاية في الغط، وبالضم بلغ مني الجهد مبلغه. بدليل قوله: حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، وبإشارة ضمير الغائب المستتر المرفوع هو في بلغ، والمجرور المتصل بحرف الجر في مني، ليقرر له بعد تلك المعاناة، وما فيها من ضغوط نفسيَّة وجسديَّة، ويُخبره ماذا يقرأ؟ تاليًا عليه الآيات الخمس الأوائل من سورة العلق، والتي تجسَّدت فيها الإشاريات الشخصيَّة بضمائر المخاطب المستترة، والمقدرة بأنت في (اقرأ)، وضمائر الغائب المستترة المقدرة بـ (هو) في: خلق، علّم، يعلم، وبالكاف المجرورة المضافة، المتصلة في(ربّك)؛ لتنساب بعد ذلك فيما روته أم المؤمنين جملة من الإشاريات الشخصيَّة السابقة وغيرها، لتدلَّ على براعة رسم المشهد في سياقاته، معبرة بكلِّ دقةٍ وشفافيَّةٍ عن الحدث والموقف بجميع جوانبه، والمتمثلة في ضمير الغائب المستتر، هو في (رجع) من قولها: فرجع بها، أيْ: رجع بالآيات الخمس، أو بالقصة

(١) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة: (غطَّ)، ٧: ٣٦٢.

كاملة، والتي فسَّرها ضمير الغائب المتصل في (بها)، لتستكمل الصورة في الضمير المتصل في (بوادره)، تلك التي جسدها الفعل ترجف. والبوادر: جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق[١]، جرت العادة أنَّها تضطرب عند الفزع، ودخوله المتسارع على خديجة، على غير عادته، وقوله: زملوني، أيْ: غطوني بالثياب ولفوني بها... مكررًا إيَّاها، وكأنَّ ياء المتكلم الضمير المتصل المنصوب شاهد على ما أصابه واعتراه من خوف ووجل، جعلهم يستجيبون لطلبه بسرعة خاطفة، وقد أظهرته واو الجماعة، التي وقعت موقع الفاعل، وهاء الضمير التي وقعت في موقع المفعول به، لتشير واو الجماعة على أنَّ مَن قام بعمليَّة تدفئته أكثر من شخص، ربَّما كان المعنى أنه دخل على خديجة دخول الخائف المذعور، ليرمي نفسه في الحضن الدافئ الذي كان نِعمَ الملجأ والسند العاطفيّ قبل الماديّ له، لتقوم بتدفئته مع من شاركها من أهل البيت، إلى أن ذهب عنه الخوف والفزع، ومن ثَمَّ ليخبرها بعد ذلك بالذي حصل معه، وسبَّب له ذاك الخوف الملاحظ، ولا شكَّ في الضمير المتصل بـ (عن) من قولها: (ذهب عنه) إشارة سياقيَّة دلاليَّة على تملُّك الخوف الذي أصاب كيانه عمومًا، حتى رجفت منه بوادره، وكيف سرى وذهب عنه، بعد شعوره بالطمأنينة في أحضان بيته وبين أهله، هذا الشعور الذي استغرق فترة من الزمن، والذي أبانت عنه أداة العطف التي تُفيد الترتيب والتراخي (ثم)، والضمير الغائب المستتر فيما روته أم المؤمنين والعائد على الرسول (ثم قال ...)، قاله مناديًا لأقرب المقربين إلى قلبه ومنبع سرِّه (خديجة) بأداة النداء للقريب (أيْ) قرب الروح والمنزلة، وبقوله: مالي، استفهام بـ ما، ومعها الضمير المتصل باللام والمعنى: ما الذي حصل لي؟ والحقيقة أن سياق الكلام يقتضي أن تُبادره هي في السؤال والاستفهام، ولكنَّ هذا له دلالته في أنَّ الخائف لا ينبغي له

(١) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، (ب د ر)، ٤: ٥٠.

أن يُسأل، ودلالته في تأدُّبها مع زوجها الخائف؛ ولتترك له المجال في التحدُّث عما جرى له بنفسه، والدليل قوله: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) مما حصل، دون ذكر لنوع هذه الخشية، وقد أدَّاها الضميران المتَّصلان، تاء الفاعل في خشيت، وياء المتكلم في نفسي، لتردَّ عليه خديجة كما روت أم المؤمنين عائشة بقولها: قالت (هي) والردُّ (له) للرسول، مستنكرة ومثبتة بأداة الردع والزجر (كلا) ولتحول الأمر وما حصل له من السلبيَّة إلى الإيجابيَّة بالفعل ودلالته (أبشر)، وضمير المخاطب المستتر به (أنت)، ولتأتي معه جملة من الإشاريات الشخصيَّة المتمثلة بالقسم في (فوالله) (والله)، وبضمائر المخاطب الكاف المتصلة في الفعل (لا يخزيك)، وبإنَّ المؤكدة في: (إنَّك) و(بأنت) المستترة بالأفعال: (تصل، تصدق، تحمل، تكسب، تقري، تعين) إشاريّات شخصيَّة، كانت بمثابة مبشرات أوليَّة آتت أكلها في تثبيت عزيمة من سيكون خيرًا للبشريَّة؛ ولتؤكد له أنَّ مكارم الأخلاق حرز لصاحبها يحفظه من المكاره، وسبب من أسباب السلامة للإنسان الفاعل لها بصدق نيَّة؛ ولتؤكِّد له صحَّة ما تبيَّن لها انطلقت به، وبالنظر إلى السياق في الضمير المستتر في انطلقت (هي) المتصل في (به) فلم تقل له: اذهب إلى فلان واسأله، بل رافقته الخُطى ليتأكد له الأمر ممن هو أعلم منها بذلك، إلى ابن عمِّها (ورقة بن نوفل)، وهو ممن تعرفه وتثق به، وأمَّا قولها: (أتت، به) فالإشاريَّة واقعة في الضمير المستتر (أتت) والضمير المتصل بالباء (به)، وكلاهما دليل على مؤازرة خديجة للرسول منذ اللحظات الأولى للرسالة وعلى صدق حدسها، وللترك المجال للرسول في الإخبار عمَّا جرى لزوجها بنفسه، بعد أنْ قامت بتقديمه إلى ابن عمها خير تقديم، فقالت له خديجة (قالت: هي) والضمير المتصل في (له) عائد على ورقة، كما هو واضح من سياق الكلام، وقولها: أيْ: عمِّ... أيْ: أداة نداء للقريب، وقد أكسبت النصَّ دلالة ومكانة اجتماعيَّة سآتي على ذكرها، وكذلك قولها: (ابن أخيك) وقوله: (يا ابن أخي).

وأمَّا الإشاريات الشخصيَّة فقد أتت في (اسمع) بالضمير المستتر للمخاطب

(اسمع: أنت) وكذلك (ترى)، وفي (أنزل وتقديره: هو، كنائب فاعل)، ورآه: (هو)، وأكون، وأنصرك: أنا، وقال: هو، وجذعًا: أنا، وحيًّا: أنا، و(جئت: أنت)، والمتصل بكاف الخاطب المجرور في: (أخيك، قومك) وبهاء الغيبة المنصوب في (أخبره، رآه) والمتصل بياء المتكلم المنصوب في (ليتني، يدركني)، وكاف الخطاب في (يخرجك، أنصرك).

وأمّا الإشاريَّة الشخصيَّة بالضمير البارز المرفوع (هُم) في قول الرسول أثناء حواره مع ورقة وما سبقه من استفهام، وهو: استفهام كان مُوجعًا بأشدِّ عوامل الوجع النفسيّ المؤلم، فالنبي ﷺ لم يكن متصورًا، ولو للحظة، أنَّ قومه وأقاربه وأعمامه سيأتي يوم عليه وعليهم يطردونه فيه، ويخرجونه من مكة، وها هو يُخْبَر بذلك مُسبقًا، فقال: أوَمخرجيَّ هم، والأصل: أهُم مخرجيَّ، ولكن مرارة الألم وعقله الذي قد أشغل بموضوع الإخراج جعله يقدّم مخرجيّ على هم، فالتأخير للإشاريَّة الشخصيَّة (هم) الضمير المنفصل البارز، والواقع مبتدأً مؤخرًا، له غرضه الخاص، المفهوم من السياق، فاستفهام النبي الإنكاريّ على إخراجه؛ لعدم وجود سبب لذلك، وخصوصًا مع ما كان عليه من مكارم الأخلاق التي وصفته بها أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– وهو المعروف عندهم بالأمين.

وأمَّا الإشاريَّة في قول ورقة (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا): فتتمثل في النداء المصحوب بالتمني، وفي الضمير في: (فيها) يعود إلى أيام النبوة ومدتها، و(جَذَعا) بفتح الجيم والذال أيْ: شابًا قويًّا حتى أبالغ في نصرتك، وتمنى أن يكون شابًا؛ لأنَّه أمكن في النصرة وأنشط لها.

هكذا انسالت، وبدت تلك الإشاريات الشخصيَّة التداوليَّة في الحديث، مساهمةً إلى حدٍّ كبيرٍ في تشكّل وتحقيق الإطار التداولي للخطاب، وفي تحقيق التواصل بين منتج النصِّ والمتلقي، وكيف أبانت عن المعاني السياقيَّة التداوليَّة المرادة في

الحديث، وكيف تحوَّلت بعض الأدوات الإشاريَّة في السياق الاجتماعي، خاصة الضمائر، من وظيفتها الدلاليَّة إلى وظيفتها التداوليَّة، بانعكاسها على قصد المتكلم.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

وهي كلمات: وصيغ لفظيَّة تُشير إلى زمن معيَّن يُحدِّده السياق، قياسًا على زمن التكلم الذي يشكّل مركز الإشارة الزمانيَّة في الكلام، فإن لم يعرف هذا الزمن التبس الأمر على المتلقي، وتعسَّر الفهم والتواصل ومن هنا تنبع أهميتها.

إنَّ من هذه الصيغ الاشاريَّة هي: (الآنَ، أمسِ، غدًا، يوم، شهر، سنة)، و(قبل وبعد) المقترنان بالفعل، وهي تعمل على تأطير عمليَّة التواصل داخل نطاقها الزمنيّ وتعبر عن اندماج المتكلم، والمخاطب معًا داخل الزمن النصيّ والتلفظيّ والتواصليّ[(١)].

والحقيقة أنَّ الإشاريات الزمانيَّة في الحديث تعدُّ قليلة، وقليلة جدًّا بالمقارنة مع الإشاريات الشخصيَّة، ولا غرو في ذلك؛ فالزمن للحديث المروي محدود بفترة معيَّنة، والمتمثلة في زمن تحنُّثه ودخول الوحي عليه لأول مرة.

وفي مقدمة هذه الإشاريات الواردة في نصِّ الحديث، والتي تستشف من سياقه، قولها:

(مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ): قال النوويّ رحمه الله: "قال أهل اللغة: فلق الصبح وفرق الصبح، بفتح الفاء واللام والراء، هو ضياؤه، وإنَّما يقال هذا في الشيء الواضح البيّن"[(٢)]، والإشاريَّة في لفظ (الصبح) أيْ: وقت الصباح وانتشار الضوء والنور، وهذا مما ينبئ عن سطوع فجر الحق والهداية واندحار الظلم.

وأمَّا كلمة الليالي الواردة في قوله: وهو: التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، والتي

(١) ينظر: يوسف المطلبي، "مالك: الزمن واللغة". (القاهرة: الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٨٦م)، ٢٦.
(٢) أبو زكريا محيي الدين النوويّ، "شرح صحيح مسلم". ٢: ٣٧٤.

قيل: إنَّها من إضافات الزهريّ، وفي رواية: أولات، وهي بالمعنى نفسه صفة لليالي، ومعنى أولات العدد أيْ: الليالي الكثيرة، ومجيئها في سياق النصِّ أزال الغموض الذي ربّما يسأله أحدهم، عن عدد الأيام التي كان يقضيها في التعبُّد، هل كانت قليلة؟ أم كثيرة؟

وأمّا كلمة الجاهليَّة التي ذكرها الزهري في كلامه عن ورقه: وأنَّه ممن تنصَّر في الجاهليَّة، ففيه إشارة إلى ذاك الزمان الذي سبق دين الإسلام.

وأنَّ ورقة اعتنق النصرانيَّة من خلال رحلة الصيف إلى بلاد الشام، وفيه إشاريَّة إلى أنَّ سؤال أهل العلم والخبرة، هو الأجدر والأحق في السؤال والمشورة، والدليل على ذلك، ما أخبره به من أمر الرسالة وبوادر بشارات النبوة، ثم إخباره عن إخراج قومه له، واستنكار الرسول لذلك بقوله: (أومخرجيَّ هم)، بغضِّ النظر عن معرفة زمن الخروج ومكانه، فإشاريَّة الزمان مستترة، وتفهم من السياق، والتقدير: سيأتي زمن بعد بعثتك، وستدعو الناس لدينك، وعندئذٍ سيتمُّ إخراجك من مكَّة.

وأما قول ورقة للرسول عليه الصلاة والسلام: يا ليتني فيها جذعًا حين يخرجك قومك، وفي رواية إذ يخرجك، فحين، وإذْ ظرفان، وقول ورقة هذا يقفُنا على فراسته واستدلاله بالماضي على المستقبل.

وأما قوله الآخر: (وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ) أيْ: يوم بعثك ودعوتك، فيوم إشاريَّة زمانيَّة، وقد حمل مع قوله: أنصرك نصرًا مؤزَّرًا، وليتني بها جذعًا معاني سامية، انحصرت دلالتها في تأكد ورقة من صدق الرسول من خلال روايته، ومعرفته بأحوال الأمم السابقة، وبعض من أنبيائها، وتطلّع ورقة نحو عمل أخروي، لا عمل دنيوي آني يحمل بمفهومنا اليوم دبلوماسيَّة يريد بها مسايرة ابنة عمه خديجة.

وفي نهاية الحديث أرى أنَّ قول الزهري أيضًا (وفتر الوحي فترة) إشاريَّة زمانيَّة في (فترة) كدلالة على أنَّ الوحي بعدما أبلغ الرسول بالآيات الخمس من سورة العلق،

وما حصل له بعد ذلك، انقطع عنه مدَّة من الزمن، فالفترة: قطعة من الزمن طالت أو قصرُت في عرف اللغة[١]، وقد ورد في اختلاف تقديرها أقوال عدة.

ويبقى أنَّ هذه الإشاريات على الرغم من قلتها تحمل سياقات تجعل القارئ يستحضر دلالتها عبر العصور، وكأنَّه يعيش معها في يومها الذي حصلت فيه.

ثالثًا: الإشاريّات المكانيَّة.

وهي التي تُحيل على أماكن يكون استعمالها وتفسيرها معتمدًا على معرفة المتكلم وقت التلفُّظ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي، ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الوجهة، ثم الوقوف على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة بالمكان، وكلمات الإشارة نحو: هذا وذاك للإشارة إلى قريب، أو بعيد من مركز الإشارة المكانيَّة، وكذلك هنا وهناك وهنالك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب، أو بعيد من المتكلِّم، قال ابن هشام: ويُشار إلى المكان القريب بهُنا أو هـهُنا قال تعالى: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:٢٤] وللبعيد بـ هناك، أو هنالك أو ههنالك[٢]. بالإضافة إلى سائر ظروف المكان، مثل: فوق، وتحت، وأمام، وخلف، وهذه العناصر الإشاريَّة إلى الأماكن تعتمد في استعمالها

(١) الفترة: ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م)، ٣٠: ٣٩٦، وفي لسان العرب نقلا عن الصحاح: ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجلَّ، من الزمان الذي انقطعت به الرسالة (فتر) ٥: ٤٤.

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك"، (ط٦، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م)، ١: ١٣٧، وبهاء الدين ابن عقيل، "المساعد على تسهيل الفوائد شرح التسهيل"، تحقيق د. محمد كامل بركات. (مكَّة المكرَّمة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).١: ١٩٢، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م)، ١٧٤٨.

وتفسيرها على معرفة مكان المتكلِّم، ووقت التكلُّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه، ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشاريَّة، إلَّا إذا وقفنا على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه[١].

والناظر في الحديث الشريف لا يرى ذِكرًا للكلمات الإشاريَّة المكانيَّة، وكلُّ ما ذكر في نصِّ الحديث كلمات استطاعت أن تُحدِّد الأماكن التي دار محور النصِّ حولها، وما يتطلَّبه من حوار بين الراوي والمخاطب المتلقِّي لها، والتي منها:

كان يأتي حِراء، وأظن أنَّها أرادت جبل حراء بشكلٍ عامٍّ، بدليل قولها فيما بعد (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ)[٢]، والمراد تلك النقب والفجوة في أعلى جبل حراء، واختياره ﷺ ذاك المكان، والذي هو أبعد ما يكون عن الناس، وأصعب ما يكون في الصعود إليه، وعلى قمة جبل، ومسلكه صعب، له بعده ودلالته، في أنَّه اختيار ربَّاني أولًا ألهمه الله إياه؛ ليؤيد رسوله ﷺ وليمهده للوحي بالقوة البدنيَّة والشجاعة القلبيَّة، وإلَّا فمن هو ذاك الرجل الذي ينام في رؤوس هذه الجبال الوعرة الموحشة، وفي الليالي المظلمة لولا أنَّ الله أيده بما أيده به.

ولنتأمَّل أيضًا في قولها: (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ) وأرى أنَّ الذي يفهم من سياق الحديث، أنَّه المكان خالٍ من الناس، وكيف كان ﷺ يذهب بعيدًا إلى ذاك المكان؛ ليكون أبعد عن الناس، وأضمن في حصول التفرُّغ والخلوة، والخلاء ممدود، وهو:

(١) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب". ص٨٥.

(٢) قال النووي – رحمه الله –:" وأمّا الغار فهو: الكهف والنقب في الجبل... وحراء جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى" [شرح مسلم (ج٢، ص ص ٣٧٤-٣٧٥)] وأمّا اليوم فوصله البنيان بمكة.

الخلوة، وهي: حال شأن الصالحين وعباد الله العارفين، في كل آونة وحين.

وفي قوله ﷺ أومخرجيَّ هم: أرى أنَّ فيه إشارة مكانيَّة مبهمة، إضافة إلى ما سبق ذكره عن الإشاريَّة الزمانيَّة فيه، أيْ: من مكة وإن لم يصرّح به؛ لأنه معروف، ولكنْ إلى أين؟؛ إنّه في علم الغيب، فهذا مما لم يعلموه، ولو علموه ما أخرجوه أصلًا.

المهم أنَّ فراسة ورقة في موضوع الإخراج حصلت، حيث أخرجه قومه وهم المعروفون أنَّ شيمهم لا تسمح لهم بإخراجه، ولكن خرج إلى يثرب، المدينة التي شكَّلت نواة دولة إسلاميَّة كان فيها عزَّ الإسلام والمسلمين عبر العصور.

وختام القول: فإنَّ ما أتيت على ذكره من هذه الإشاريات النذيرة اجتهاد شخصيٌ مني، فالنصُّ كما قلت: بدا خاليًّا من الإشاريات المكانيَّة في إصلاح اللسانيين ممن اهتمُّوا بالإشاريّات وأنواعها، وذكروا أنَّ أكثر الإشاريات المكانيَّة وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو: (هذا وذاك) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانيَّة وهو المتكلِّم، وكذلك (هنا وهناك) وهمَا من ظروف المكان التي تحمل معنى التكلِّم، وسائر ظروف المكان مثل (فوق، تحت، أمام، خلف ... إلخ)، وكلُّها يُشار بها إلى مكان لا يتحَدَّدُ إلَّا بمعرفة موقع المتكلم، وفلاسفة اللّغة يميلون إلى تمييز كلمات الإشارة إلى المكان عن ظروف المكان، واعتبارها نوعين من أنواع الإشارة، أمّا اللّغويون فيميلون إلى دمجهما معًا، وجعلهما صِنْفًا واحدًا يُشار به إلى المكان(١).

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة

الإشاريات الاجتماعيَّة عند اللسانين، وممن اهتموا بالإشاريات وأنواعها، هي:

مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تُشير إلى نوع العلاقة القائمة بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسميَّة، أو غير رسميَّة؛ إذْ إنَّ الرسميَّة منها يدخل فيها

(١) ينظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ٢٢، و*مجلة إشكالات* ص٢٣-٢٤.

صيغ التبجيل والاحترام والمودَّة والألفة أثناء الحديث، وفي مخاطبة من هم أكبر مكانةً وسِنًّا، ومقامًا من المتكلِّم، مراعاة القيم والمسافات الاجتماعيَّة بين المتكلمين والمخاطبيّن لهم، وأمَّا غير الرسميَّة فتكون بمناداة المخاطبين بالاسم المجرَّد خاليًا من أيّ صيغةٍ تأتي معه(١).

ومن الإشاريات الاجتماعيَّة التي وردت في نصِّ الحديث قول الرسول عليه السلام لخديجة: (أيْ خديجة! مالي؟)، وفي رواية أخرى: (يا خديجة! مالي)، وفي الروايتين هو نادى على خديجة زوجه وأم أولاده، ولكن في استخدامه مناديًا عليها: (أي خديجة) استخدم أداة نداء عادة ما تستخدم للقريب، استخدامٌ فيه تقرب وألفة ومحبَّة، ولكن في رواية: (يا خديجة) نداءٌ مباشر لها وباسمها، من حيث إنَّه لا علاقة رسميَّة غالبًا بين الأزواج.

وهذه العلاقة الاجتماعيَّة الرسميَّة قد بدت واضحةً في قول خديجة عندما قدّمت الرسول ليروي لابن عمها ورقة بلسانه عمَّا حصل له في غار حراء، قائلة: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. وفي هذا القول نجد التبجيل والتوقير للشيخ الجليل ابن عمها ورقة في قولها: أيْ منادية إياه نداء القريب الذي له حظوة ومكانة، وقولها: من ابن أخيك؛ إذ لم تقل له يا بن عمي اسمع من زوجي، وفي هذا إشارة إلى حسن أدبها ورُقِيّها وفصاحتها، وحرصها على اختيار ألفاظ أبانت عما يدور في خلدها ونفسها، وتحفظ للمخاطب مكانته الاجتماعيَّة الرسميَّة، فالرسول لم يكن ابن أخيه بالفعل، إلَّا أنَّ والد النبي عبد الله بن عبد المطلب، وورقة يلتقيان في النسب بـ (ابن كلاب)، فهو من حيث هذه الحيثيَّة في درجة أخوته، وربما يكون قد قالته على سبيل التوقير

(١) انظر: د. عمر، "علم الدلالة". ٧١.

لسنه[1]، ولم يكن ردُّ ورقة بأقلَّ حفظًا لتلك المكانة؛ إذ قال له: (يَا ابْنَ أَخِي ماذا ترى؟) فلم ينادِ عليه باسمه المباشر والمعروف، (يا محمد) ولكن حفظ له المكانة التي قدَّمته به أكمل النساء عقلًا ورجاحة، ونعم الزَّوج (خديجة) عندما قالت له بدايةً: اسمع من ابن أخيك.

تلك هي مجموعة الألفاظ والتراكيب التي أشارت إلى نوع العلاقة الاجتماعيَّة القائمة بين المتكلمين والمخاطبين، في نصِّ الحديث، وكانت في عمومها علاقات رسميَّة دخلت فيها صيغ التبجيل والاحترام والمودة والألفة أثناء الحديث، مع من هم أكبر مكانةَ وسنًّا ومقامًا من المتكلم، وهذه الإشاريات على الرغم من قلتها وتمركزها في آخر الحديث، وانحصارها، وخصوصًا في الحوار الذي دار بين خديجة والرسول وورقة، فقد أضفت على النصِّ المرويِّ شيئًا من الظلال جعلت المخاطب يتعايش معها بمشاعره وقلبه قبل عقله، ولا سيما في الدور الذي قدّمته أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنهاـ للرسالة المحمديَّة، وكيف استطاعت أن تنقل الرسول من التثبيت القوليِّ، إلى التثبيت الفعليِّ بذهابها إلى ورقة ليسمع من فيه الطاهر الصادق مباشرة، وما حصل معه في الغار.

(١) انظر: أبو زكريا محيي الدين النوويّ، "شرح صحيح مسلم"، ٢: ٣٧٨.

الخـــاتمـــة

يتضّح لنا مما سبق أن الإشاريات من أهمِّ العناصر التي تُحقِّق انسجام النصِّ واتساقه، ووضوحه في ذهن المتلقّي، وهذا ما حقَّقته بالفعل داخل النصِّ المرويِّ، وجوانب الخطاب النثري فيه، خصوصًا وقد تعدَّدت الأساليب في إدراج الإشاريات الشخصيَّة، والتي كانت أكثر ظهورًا فيه من باقي الإشاريات الأخرى؛ معبّرةً بذلك عن كلِّ الأفكار والخلجات والهواجس التي اعترت الحبيب المصطفى ﷺ ساعةَ دخول جبريل عليه في الغار، ووصولًا إلى بيته، وحديثه مع نِعْم الزوج خديجة، ومن ثمَّ الذهاب إلى بيت ورقة، وعودته منه، مما زاد من تفاعل المتلقي مع نصّه.

ولم يخلُ الحديث كذلك –مع ما يتطلبه المشهد– من التنوُّع نوعًا ما كذلك في الإشاريات الزمانيَّة والمكانيَّة والاجتماعيَّة– رغم قلتها– إذا ما قيست بالإشارات الشخصيَّة، ولا سيما الضمائر منها، فقد كان لها النصيب الأكبر في ذلك الحديث، وكيف لا والحديث مبنيٌّ على الرواية والوصف، وقد استطاعت الراوية أم المؤمنين – رضي الله عنها– أن تُوظِّفها في زوايا عباراته وألفاظه خير توظيف، وبدقةٍ متناهية وفق وصف الحدث، وكلّ ما أحاط به من تداعياتٍ.

وبهذا تتأكّد أهميَّة الإشاريّات في الكشف عن مقاصد المتكلِّم، ودورها في وضع المتلقّي في قلب الحدث، وإشراكه في بنية النصِّ؛ ليصبح الخطاب أكثر قبولًا عنده، وتتحقَّق التداوليَّة فيه، في كنف تلك الإشاريّات المتعددة، وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج والتوصيات، والتي ظهر لي منها:

- التداوليّات علم جديد، وهو حقل لساني للتواصل الإنسانيِّ، يهتمُّ بالبعد الاستعماليِّ للظواهر اللغويَّة، أو الإنجازيِّ للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار

المتكلم، وسياق الإشاريات التي وردت فيه، ويمثّل الجانب الخفيُّ للغة الذي يحمل الكثير من الدلالات والمعاني؛ لأنها تُحيل على مراجع خارجيَّة غير محدودة، وإنْ كانت تلك الإشاريات تحتاج إلى السياق لتكون نافعة، إلاَّ أنَّها تظلُّ في حيّز الإيجاز والاختصار.

- الإشاريات عامل مهمٌّ في تأدية المقاصد التبليغيَّة، وإنجاح العمليَّة التواصليَّة، وكشفت الإشاريات الشخصيَّة البُعد التبليغي بارتباط الضمائر فيه مع السياق الكلاميّ، ومن ثمَّ تحقَّقت العلامة الوجوديَّة بين العلامة الإشاريَّة وما دلَّت عليه، والإشاريات الزمانيَّة رغم قلتها إلَّا أنَّ الزمن النحويَّ في الحديث كان متنوعًا بين (الماضي والحاضر والمستقبل)، وظهر بشكل غير متناقض مع سياق الخطاب المرتبط بأعراف وتقاليد اجتماعيَّة متداولة بين الناس، ومحكومة بأوقات محدَّدة.
- ورغم محدوديَّة الإشاريات الاجتماعيَّة التي وردت في الحديث، فإنَّها أسهمت إلى حدٍّ ما في تحقيق إقامة التواصل في الخطاب، وتعزيز الثقة بين المتخاطبين.
- من خلال سياق الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث، والحوار بين شخصياته؛ ننفذ إلى قاعدة عظيمة في مقام الدعوة، تتمثَّل في أنَّ الداعية يُبتلى بالطَّرد من بلده ويتعرَّض للإيذاء بشتَّى أنواع العداء، وعلى أهل الداعية التآزر معه والوقوف إلى جانبه في أداء رسالته، والتحلّي بالحكمة والثبات ومشاركته في رحلته الشاقَّة في الدعوة والتبليغ، وهذا ما فعلته سيدة الإسلام الأولى أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– من خلال سياق الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث، ومداخلاتها التي أبانت عن المراد بكل وضوحٍ.

وفي النهاية، لا يسعني إلَّا أنْ أقول: أنّه لا بدَّ من إرشاد طلاب العلم

لنصوص الأحاديث النبويَّة المطولة؛ لتكون ميدانًا لبحوثهم المتعلقة بالتداوليَّة وجوانبها المختلفة، ولا سيَّما الإشاريات منها، فهي مرتعٌ خصيبٌ يجدون فيه ضالتهم، خصوصًا وأنَّ أمثال تلك الأبحاث ما زالت نَذْرة وقليلة، وتحتاج إلى جهودهم، واستخدام التقنيات الحديثة في جمع المادة العلميَّة التطبيقيَّة المتعلقة بأنواعها؛ لإثراء مكتبتنا العربيَّة بمثل تلك البحوث التطبيقيَّة التي تستمدُّ مادتها من ينابيع لغتنا العربيَّة الصافية، لغة من لا ينطق عن الهوى وصحابته الميامين ممَّن تربُّوا في مدرسته عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

المصـــادر والمـــراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ، "أسد الغابة في معرفة الصحابة". (القاهرة: شركة مصر للطباعة، ٢٠١٧م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، "تفسير التحرير والتنوير"، (تونس: الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م).

ابن عقيل، بهاء الدين، "المساعد على تسهيل الفوائد شرح التسهيل"، تحقيق: د. محمد كامل بركات. (مكَّة المكرَّمة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل، "البداية والنهاية". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م).

ابن منظور، جمال الدين المصري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

أحمد، أمين، "ضحى الإسلام". (ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة).

أرمينكو، فرانسواز، "المقاربة التداوليَّة"، ترجمة: سعيد علوش. (ط١، الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧).

الأنصاري، ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك". (ط٦، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

الأنصاري، ابن هشام، "شرح شذور الذهب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المعاهد الأزهريَّة).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". (ط١، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ).

بور جراند، روبرت دي، "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان. (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، "سنن الترمذي". تحقيق: بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م).

ختام، جواد، "التداوليَّة أصولها واتجاهاتها". (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع).

الدوريّ، عبد العزيز، "نشأة علم التاريخ عند العرب". (أبوظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

الذهبيُّ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، "سِيَر أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

الزنَّاد، الأزهر، "نسيج النصِّ: بحث فيما يكون الملفوظ نصًّا". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م).

السخاويّ، شمس الدين، "المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء الإمام النووي". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).

السيرافيّ، أبو سعيد، "شرح الكتاب"، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، د. علي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م).

الشهريّ عبد الهادي ظافر، "إستراتيجيات الخطاب". (ط١، بيروت: دار الكتب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

الطبريّ، ابن جرير، "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م).

عبد السلام، محمد، "آفاق تداوليَّة في النصوص النثريَّة الكاملة أعمال علي الجارم نموذجًا". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

العسقلانيُّ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة". (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م).

العسقلانيُّ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، "فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ". (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤م).

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م).

الماشطة، مجيد؛ والركابي، أمجد، "مسرد التداوليَّة". (ط١، الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).

مختار، عمر أحمد. "معجم اللغة العربيَّة المعاصرة". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

مسلم، أبو الحسين الحجاج القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ).

مؤنسي، حبيب، "مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام". التداوليَّة ومقاصد الخطاب الأدبيّ البراغماتي، المدونة الإلكترونيَّة: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع.

نحلة، محمود أحمد، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م).

النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، "السنن الكبرى"، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

النوويّ، أبو زكريا محيي الدين، "شرح صحيح مسلم". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

المجلات والدوريات:

عيد، بلبع، "التداوليَّة البعد الثالث في سميوطيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". مجلة فصول، العدد ٦٦، مارس ٢٠٠٥م.

مصطفى، حمادي، "تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآنيّ ... مقاربة تحليليَّة لكشف المقاصد والأبعاد". بحث منشور بمجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م.

ريمة، لعباديَّة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة". مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد ١١، عدد٢، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م.

المراجع الأجنبيَّة:

Lyons, john, Language and Linguistics, Cambridge University press.

Bibliography

al-Qur'ān al-Karīm

Ibn al-Athīr, 'Izz al-Dīn Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad al-Jazarī, "Asad al-Ghābah fī Ma'rifat al-Ṣaḥābah". (Cairo: Egypt Printing Company).

Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, "Tafsīr al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr", (Tunisia: al-Dār al-Tunisia, 1984).

Ibn 'Aqīl, Bahā' al-Dīn, "al-Musā'id 'alá Tashīl al-Fawā'id Sharḥ al-Tashīl", investigation: Dr. Muḥammad Kāmil Barakāt. (Mecca: Scientific Research Center, 1400 AH-1980).

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl, "al-Bidāyah wa-al-Nihāyah". (Beirut: Dār al-Fikr, 1407 AH – 1986).

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn al-Miṣrī, "Lisān al-'Arab". (3rd edition, Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).

Aḥmad, Amīn, "Ḍuḥá al-Islām". (7th edition, Cairo: Maktabat al-Nahḍah al-Miṣriyyah).

Arminko, Françoise, "al-Muqārabah al-Tadāwuliyyah", translated by: Sa'īd 'Allūsh. (1st edition, Casablanca: al-Mu'assasah al-Ḥadīthah, 1987).

al-Anṣārī, Ibn Hishām, "Awḍaḥ al-Masālik ilá Alfiyyah Ibn Mālik". (6th edition, Beirut: Dār al-Fikr, 1394 AH-1974).

al-Anṣārī, Ibn Hishām, "Sharḥ Shudhūr al-Dhahab", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, (Cairo: Al-Azhar Institutes Press).

al-Bukhārī, Abū 'Abdillāh Muḥammad ibn Ismā'īl, "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". (1st edition, Riyadh: Dār al-Salām, 1433 AH).

Bur Grand, Robert De, "al-Naṣṣ wa-al-Khiṭāb wa-al-Ijrā'". Translated by: Tammām Ḥassān. (Cairo: 'Ālam al-Kutub, 1998).

al-Tirmidhī, Abū 'Īsá Muḥammad ibn 'Īsá, "Sunan al-Tirmidhī". investigation: Bashshār 'Awwād Ma'rūf. (1st edition, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1996).

Khitām, Jawād, "al-Tadāwuliyyah Uṣūluhā wa-Ittijāhātuhā". (1st edition, Oman: Dār Kunūz al-Ma'rifah).

Al-Dawrī, 'Abd al-'Azīz, "Nash'at 'Ilm al-Tārīkh 'inda al-'Arab". (Abu Dhabi: Zayed Centre for Heritage and History, 1420 AH-2000).

Al-Dhahabi, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān, "Siyarr A'lām al-Nubalā'", Investigated by: Shu'ayb al-Arna'ūṭ. (2nd edition, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1402 AH-1982).

Alznnād, al-Azhar, "Textual Fabric: A Study on What Makes an Utterance a Text". (1st edition, Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, 1993).

Al-Sakhāwī, Shams al-Dīn, "al-Manhal al-ʻAdhb al-Rawī fī Tarjamat Quṭb al-Awliyāʾ al-Imām al-Nawawī". (Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2005).

Al-Sīrāfī, Abū Saʻīd, "Sharḥ al-Kitāb", investigation: Aḥmad Ḥasan Mahdalī, Dr. ʻAlī Sayyid ʻAlī. (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub alʻlmyyah, 2008).

Al-Shihrī ʻAbd al-Hādī Ẓāfir, "Istirātījīyāt al-Khiṭāb". (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2004).

Alṭbrī, Ibn Jarīr, "Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk". Investigation: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (2nd edition, Cairo: Dār al-Maʻārif, 1970).

ʻAbd al-Salām, Muḥammad, "Pragmatic Horizons in Complete Prose Texts: Ali Al-Jarim's Works as a Case Study". (1st deition, Cairo: Dār al-Nābighah, 2015).

Al-ʻAsqalāni, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn Aḥmad Ibn Ḥajar, "al-Iṣābah fī Tamyīz al-Ṣaḥābah". (Beirut: Dār al-Kutub alʻlmyyah, 1995).

Al-ʻAsqalāni, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn Aḥmad Ibn Ḥajar, "Fatḥ al-Bārī be-Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". (Cairo: Dār al-ḥadīth, 2004).

al-Fairūzābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir, "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". (8th edition, Beirut: Heritage Research Office at Al-Risala Foundation, 1426 AH – 2005).

Al-Māshṭah, Majīd; and Rikābi, Amjad, "Pragmatics Glossary", (in Arabic). (1st edition, Jordan: al-Riḍwān for publication and distribution, 1439 AH-2018).

Mukhtār, ʻUmar Aḥmad. "Muʻjam al-Lughah al-ʻArabiyyah al-Muʻāṣirah". (1st edition, Cairo: ʻĀlam al-Kutub, 2008).

Muslim, Abū al-Ḥusain al-Ḥajjāj al-Qushairī al-Naisābūrī, "Ṣaḥīḥ Muslim", investigated by: Muḥammad Fuʾād ʻAbd al-Bāqī. (Cairo: Maṭbaʻat ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʻArabī, 1374 AH).

Naḥlah, Maḥmūd Aḥmad, "Āfāqun Jadīdah fī al-Baḥth al-Lughawī al-Muʻāṣir". (1st edition, Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2011).

Al-Nasāʾī, Abū ʻAbd al-Raḥmān Aḥmad ibn Shuʻayb, "al-Sunan al-Kubrá", investigated by: Ḥasan ʻAbd al-Munʻim Shalabī. (1st

edition, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1421 AH-2001).
Al-Nawawī, Abū Zakarīyā Muḥyī al-Dīn, "Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim". (2nd edition, Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1392 AH).

Journals and periodicals:

‘Īd, Balba‘, " Pragmatics: The Third Dimension in Morris's Semiotics, From Linguistics to Literary Criticism and Rhetoric" (in Arabic). Fusul Journal, issue no. 66, March, 2005.
Muṣṭafá, Ḥammādī, "The Pragmatics of Indicatives in Qur'anic Discourse... An Analytical Approach to Uncovering Purposes and Dimensions", (in Arabic). A paper published in Al-Athar Magazine, Issue 26, September 2016.
Rimah, La‘bādiyyah, "Types of Indicative Expressions and Their Purposes in Ibn al-Muqaffa's Great Literature: A Pragmatic Reading", (in Arabic). Journal of Problems in Language and Literature, Volume 11, Issue 2, 1443 AH – 2022.

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 18

Oct - Dec 2025